الانجيل الصحيح

(مقدمة كتاب الفيلسوف تولستوي الروسي الذي سماه « الاناجيل »)

(تمهيد) : ينعق دعاة النصرانية فينا دائما : إن القرآن شهد بأن الانجيل كتاب الله المنزل على المسيح وأنه حق فاذا لم تكن هذه الاناجيل الاربعة التي في أيدينا هي كتاب المسيح فأين هو كتابه ؟ : وقد سبق لنا في المنار الجواب عن هذا السؤال وبيان أن انجيل المسيح في اعتقاد المسلمين هو مجموع المواعظ والحكم والأحكام التي جاء بها المسيح وعلمها بني إسرائيل مع تصديقه للتوراة وأن ذلك لم يحفظ كله وإنما حفظ منه شيء ونسيت أشياء كما قال تعالى في أهله « ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به » وما كانوا يعترفون بهذا ولكن الله عرف نبيه الامي به فعلم الناس ما لم يكونوا يعلمون

كانت تعاليم الدين محبوسة في هذه الامة عند الرؤساء ولكن ما أحدثه البروتستنت من حرية البحث فيه وما كتبه مؤرخو أوربا الاحرار في التاريخ العام قد أظهرا لنا تفسير قول الله في الانجيل فكان ذلك من دلائل نبوة نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأنه ضرب من ضروب إعجاز القرآن وآية من آياته البينات . فان التواريخ الكنيسية وغير الكنيسية أظهرت لنا أن أتباع المسيح في زمنه كانوا من العوام الجاهلين وأنهم مزقوا من بعده في الأرض كل ممزق وكانوا مضطهدين من اليهود والرومان جميعا حتى قضت السياسة على الملك قسطنطين بالدخول في النصرانية واتخاذ عصبة جديدة منها . فلما صار لهذه الديانة سلطة طفقت تنشىء المجامع وتجمع الآثار الدينية فظهر عندها أناجيل كثيرة تحكم فيها

الرؤساء كما شاؤا وأقروا منها أربعة وحكموا ببطلان ماعداها . وإن كانت هذه الأربعة الا تواريخ للمسيح فيها بعض كلامه المأثور عنه منقولا عن آحاد لايجزم العقل بصحة رواياتهم كلها ولا بكذبها كلها فالذي يمكن الوثوق به فى الجملة ان فيها حظا من كلام المسيح وبقي حظ آخر هو الذي نسوه . وليس فيها كلمة تدل على أن أحد مؤلفيها يدعي أنه جمع فأوعى كل ماقاله المسيح . بل كانت آخر جملة فى الرابع منها قول يوحنا مؤلفه « وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن ان العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة » اه

وإننا بغض الطرف عن الغلو فى العبارة نقول إن الأفعال الكثيرة المرادة لابد ان تكون مصحوبة بأقوال وتعاليم تركت كتابتها كما تركت كتابة الأفعال . ولعلنا فى جزء آخر نورد بعض أقوال مؤرخي أوربا فى ذلك . ونقول الآن إن العقول المطلقة من أسر تقليد الكنيسة قد اهتدت الى ماحكم به الاسلام فى الجملة . ومن أكبر هذه العقول عقل الفيلسوف تولستوي الروسي الشهير فقد ألف كتابا أرجع فيه الأناجيل الأربعة الى إنجيل واحد وحذف منها مالا يوثق به من الأقوال التاريخية والخوارق الكونية وان كان بعضه صحيحا . واننا ننشر فى المنار مقدمة كتابه هذا معربة عن الفرنسية لتكون عبرة للعقلاء وان كنا لانسلم بكل مافيها تسليما

ذكر فى أول المقدمة ان كتابه هذا (واسمه الأناجيل) ملخص من سفر له كبير مؤلف من أربعة أقسام ـ أحدها فى تاريخ حياته هو وارتقائه فى الفكر الذي أعانه على معرفة الحق والصواب فى التعاليم المسيحية كما يعتقد الآن . وثانيها فى خلاصة المذهب المسيحي المعروف عند

الكنائس ملخصه مما يؤثر عن الحواريين والمجامع وجمهور القسيسين وأضاف اليه شرحا « يوضح فساد تلك التعاليم الكنائسية » . وثالثها فى خلاصة الاناجيل الاربعة وجعلها إنجيلا واحد يحتوي على التعاليم المسيحية الصحيحة بحسب ماوصل اليه اجتهاده . ورابعها خلاصة عامة للمعنى الحقيقي الذي تدل عليه التعاليم النصرانية وللاسباب التي أوجدتها والنتائج التي تستلزمها . (قال) : وهذا الكتاب الذي أنشره الآن على رؤس الاشهاد هو خلاصة القسم الثالث : ثم قال :

***

« ولقد حاولت فى القسم الثالث من مؤلفي الكبير الذي سبقت اليه الاشارة ان أترجم وأنشر الاناجيل الاربعة جملة جملة لاأغفل منها سطرا واحدا ولكن رأيت من الواجب ان أتعمد فى هذه الخلاصة حذف كل العبارات التي ترتبط بهذه الموضوعات وهي : (الحمل بالمسيح وميلاد القديس يوحنا المعمدان وسجنه وقطع رقبته وميلاد المسيح ونسبه وهروبه الى مصر والمعجزات التي حصلت فى كانا وكفرناحوم والمزالم لاخراج الجن من أجساد الناس والسير على سطح البحر ولعن شجرة التين والقيامة وكل مايشير الى النبوات التي جاء مصداقها فى حياة المسيح)

« طويت كشحا عن هذه العبارات لانها لا تحتوي على شيء مما يتعلق بالتعاليم المسيحية وانما لها علاقة ببيان الحوادث التي حصلت قبل تصدر المسيح للتعليم وفى اثنائه وبعده فليس فيها فائدة فى ايضاح حقيقة التعاليم التي جاء بها المسيح بل يسوغ لنا ان نقول انها موجبة للتشويش فى فهمها والارتباك فى إدراكها ومهما كانت الوسيلة فى ترتيب المعاني على هذه

الموضوعات فانها لاتغير تعاليم المسيح نقضا ولا اثباتا وانما الغرض منها إقناع الذين لا يعتقدون بألوهية عيسى المسيح ولذلك لم يكن فيها أقل فائدة لرجل لاتؤثر حكايات الخوارق والعجائب في إقناعه فضلا عن كون في نفس تعاليم المسيح الدلائل الكافية على ثبوت ألوهيته

(ثم قال) : « وأقول بوجه العموم فيما يتعلق بمخالفة ترجمتي في بعض المواضع للنص الرسمي المعتمد في الكنيسة ان القارىء لا ينبغي له أن ينسى أنه من الخطأ الفاحش والكذب الصراح ان يقال ان الاناجيل الاربعة هي كتب مقدسة في جميع آياتها وفي جميع مقاطع كلماتها وانها مقدسة بحيث يحرم تبديل شيء منها فلا يصح للقارىء ان ينسى ان عيسى لم يؤلف كتابا قط كما فعل أفلاطون وفيلون ومارك أوريل وانه لم يلق تعاليمه مثل سقراط على رجال من أهل العلم والادب وانما عرضها على قوم من الجهال قد خشنت طباعهم كان يصادفهم في طريقه . وانما جاء بعد مماته بزمان يقارب المئة عام رجال أدركوا مكانة كلماته فخطر ببالهم ان يدونوها بالكتابة . ولا ينبغي للقارىء ان ينسى ان مثل هذه المدونات كانت كثيرة وقد ضاع معظمها وان منها ما كان محشوا بالخطأ والغلط وان النصارى قد استخدموا كل هذه المدونات في أول الأمر حتى اختاروا منها مع توالي الأيام ماظهر لهم أنه أقرب للكمال وللصواب وان الكنائس حينما اختارت أحسن الأناجيل بين مئات الالوف من المصنفات التي جادت بها قرائح المشتغلين بالعلم في أوائل النصرانية وقعت فيما يقوله المثل الروسي « لايخلو القضيب من العقد » فأخذت عقدا كثيرا من هذه المجامع وان الغلط في الأناجيل القانونية هو بقدر الغلط في الاناجيل

المهمة لاعتبارها محلا للشك والارتياب وان هذه الاناجيل المتروكة تشتمل على أشياء جميلة قد تعادل ماتضمنته الاناجيل الرسمية

« لا ينبغي للقارىء انه ينسى ان تعاليم المسيح هي المقدسة وان ذلك التقديس لا يتعدى الى عبارات مسطورة وكلمات مرقومة وان اعتبار بعض الكتب مقدسة لا يكفي في إحاطة التقديس بكل ماجاء فيها الى آخر سطر منها . فليس الآن في عالم المدنية من يجهل أعمال النقد التاريخي منذ مئة عام سوى جمهور الناس في بلادنا الروسية فانهم لا يزالون يعتقدون بهذا الرأي الساذج وهو ان أناجيل متى ومرقس ويوحنا قد كتبت كما هي الآن وان المؤلفين المنسوبة اليهم قد كتب كل واحد منهم ما كتبه على حدته دفعة واحدة

« لا ينبغي للقارىء ان ينسى ان هذا الرأي المبني على الجهل بالمباحث العلمية انما تعادل تيهته اليوم قول أسلافنا في القرن الماضي إن الشمس تدور حول الارض . ولا ينبغي للقارىء أن ينسى أن الاناجيل المجملة المندمجة في بعضها انما هي ثمرة المباحث الطويلة ونتيجة سلسلة من أعمال الحذف والزيادة وانها أثر من آثار ما أوحاه الخيال على آلاف من الرجال وانها ليست بنتيجة ماتطق به الروح القدس على لسان الانجيليين كما يزعمون.

ولا ينبغي للقارىء أن ينسى ان الاناجيل بشكلها الحاضر لا تتضمن ألبتة شهادة الحواريين وتلامذة عيسى مباشرة وان القول بذلك من الخرافات التي لا تصبر على محك الانتقاد فضلا عن عدم بنائها على أدنى أساس سوى رغبة نفوس أرباب التقوى والورع في ان تكون كذلك . فقد توالت القرون والناس يدونون الاناجيل ويهذبون موضوعاتها ، ويتوسعون في

عباراتها ، ويشرحون أقوالها ، فان أقدم النسخ التي وصلت الينا قد تمت كتابتها في القرن الرابع للميلاد وهي مكتوبة على نسق واحد من أولها الى آخرها أي بلا فواصل ولا غير ذلك من الاشارات التي تستعمل لايضاح الكلمات وبيان الجمل ولذلك دعت الضرورة حتى بعد القرنين الرابع والخامس الى تفسيرها بطرائق متخالفة من كل الوجوه وصارت نسخ هذه الاناجيل تقارب الخمسين ألفا .

« بل يجب على القارىء ان يستحضر في ذهنه كل هاتيك الاعتبارات حتى لايعول على هذا الرأي السائد فيما بيننا وهو ان الاناجيل وصلت الينا صادرة مباشرة عن الروح القدس بشكلها الحاضر ويجب عليه أيضا أن يسلم معنا بأنه ليس من المحرم علينا ان نحذف من الاناجيل العبارات التي لافائدة فيها وان نستعين ببعض معانيها على بيان معاني البعض الآخر بل ان الحرام كل الحرام والكفر كل الكفر هو عدم التجاسر على فعل ذلك وان نعتقد بتقديس بعض العبارات ، وطائفة من الكلمات ، بحيث نرى انه لايجوز مسها على الاطلاق

« هذا واني أسأل القارىء الكريم ان يتذكر أنني اذا كنت لاأعتبر الاناجيل كتبا مقدسة قد نزلت علينا من السماء مباشرة بوحي من الروح القدس الذي جعلها لنا عهدا ووصية فانني لاأذهب أيضا الى ان هذه الاناجيل ليست الا آثارا تاريخية تدل على حالة التأليف في العلوم الدينية بل انني مصدق بما حوته من التصور الديني والتاريخي ولكنني اتصورها بطريقة أخرى ولذلك أرجو من القارىء الكريم الذي يمعن نظره في ترجمتي بان لايترك نفسه في أثناء تلاوتها تسير في

طريق الضلال من حيث الوجهة الدينية أو من حيث الوجهة التاريخية اللتين أقر عليهما أرباب الآداب وعنوا بهما في هذه الايام فلست أذهب الى واحدة منهما دون الاخرى فكلاهما في نظري سواء . لاجرم إنه يستحيل علي أن أعتبر النصرانية وحيا لايشوبه شيء أو مظهرا مجردا من مظاهر التاريخ في هذا الوجود ولكنني أذهب الى ان النصرانية هي النحلة الوحيدة التي تجعل معنى لهذه الحياة ولم يدفعني اللاهوت ولا التاريخ الى اعتناق النصرانية ولكن الاسباب التي حملتني على قبول هذا المذهب هي مايأتي : (لها بقية)

آثار علمية

تتمة تقريظ رسالة الشيخ محمد بخيت

قال المؤلف بعد ماتقدم: ومن هذا القبيل بلا شبهة الاجتماع للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لانها جماع الخير ومفتاح البركات باجماع المسلمين :

اقول ان الصلاة على النبي والدعاء له مشروع ولكن لم ينقل احد من السلف ومن ينظر الى قوله من المخلف بمشروعية الاجتماع لها وكونها شعارا دينيا يعين له وقت مخصوص وصيغ مخصوصة واجتماع مخصوص . واذا كان الشعار لايثبت الابشرع كما تقدم فعلى المصلين ان يحاموا ذلك ويصلوا ويدعوا مجتمعين وفرادى ماتحامو جعل ذلك شعارا . ولا معنى لهذا الاجتماع الذي ذكره . فالذين ينعقد بهم الاجماع لم ينقل عنهم هذا القول « انها جماع الخير ومفتاح البركات » وان اراد انهم قالوا ماهو بمعناه قلنا ان معناه غير محدود متعين وماذاك الذي قالوه بمعناه ومن الذي نقله بالاجماع ؟ . الذي يقوله كل مسلم انها مشروعة وكل مشروع خير نافع ومفيد وبهذا القدر كفاية

(بدع المواسم) ثم قال : ومن هذا القبيل الاجتماع لقراءة وسماع نحو قصة المعراج وفضائل ليلة النصف من شعبان وليلة القدر في لياليها المشهورة لان الاولى سيرة النبي